# مجلة المُدَوَّنة

مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات والأبحاث الشرعية تصدر عن مجمع الفقه الإسلامي بالهند

السنة الثالثة: عدد مزدوج: 9-10، محرم 1438هـ /أكتوبر (تشرين الأول) 2016م


موضوع العدد:

## القواعد الفقهية الناظمة للممارسة الطبية وتطبيقاتها

في هذا العدد:


| | |
|---|---|
| السنن الإلهية في الهجرة النبوية | د.رشيد كُهُوس |
| الاجتهاد المعاصر بين دعاة التقليد والتجديد: قراءة في الأدلة والحجج | د. عبدالله شنتوف |
| الفكر المقاصدي وقواعده عند موفق الدين ابن قدامة المقدسي | د.حماد محمد إبراهيم ود.سلمان الحكمي |
| أثر المدونة في اختلاف المالكية | أ.مراد النشاط |
| الوجود الإسلامي في الغرب وفقه الأقليات | د. نورالدين قراط |
| حكم حديث الأحاد فيما تعم به البلوى عند الحنفية وتطبيقاته في كتبهم | د.صلاح محمد سالم أبو الحاج |
| مفهوم ولي الأمر، وعلاقته ببعض المفاهيم المرتبطة به في الفقه الإسلامي - دراسة تحليلية | د. محمد جبر السيد عبد الله جميل |
| تعليم المعلم العبادات لطلابه صوره وأحكامها | د.عطية مختار عطية حسين |
| مقصد العدل في حياة الصحابة | د.حماد محمد إبراهيم منصور |

# السنن الإلهية في الهجرة النبوية

الدكتور رشيد كهوس

أستاذ بكلية أصول الدين بتطوان–جامعة عبد المالك السعدي–المغرب

**بسم الله الرحمن الرحيم** الحمد لله الملك العلام ذي الطول والإنعام والجود والإكرام الذي منَّ علينا بالآيات والإسلام، وشرفنا بالشرائع والسنن والأحكام، وأكرمنا ببعثة سيدنا وحبيبنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله أرسله بنور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه هداة الأنام.

وبعد، فإن الوقوف عند السنن الإلهية[1] في الهجرة النبوية له أهمية بالغة إذ إن هذا الحدث العظيم يمثل محطة فاصلة في تاريخ الدعوة الإسلامية؛ حيث برزت من خلاله شعائر الإسلام إلى العلن، وخضعت أحكامه للتطبيق العملي، وذلك من خلال رعاية النبي ﷺ للسنن الإلهية، وتسخيره لها، وعمله بمقتضاها

ومن ثمّ لم يغفل سيد الوجود ﷺ وهو المؤيد بالوحي في حركاته وسكناته الأخذ بالسنن، وكان يوجه أصحابه الكرام ﷺ دائما إلى مراعاتها في كل أمورهم الدنيوية والأخروية، وهذا يتضح جليا في هجرته ﷺ إلى المدينة؛ كما يأتي بيانه:

---

[1] "**السنن الإلهية هي: إرادة الله الكونية، وأمره الشرعي، وفعله المطلق، وكلماته التامات، وحكمته في آفاق الكون وتسلسل التاريخ، الجارية بالعباد عبر رحلة الأعمار إلى المعاد**". انظر كتاب: علم السنن الإلهية من الوعي النظري إلى التأسيس العملي، رشيد كهوس، ص22.

## أولا– الهجرة سنة من سنن الله في الرسل.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (77)﴾ (الإسراء)

إن سيد الوجود ﷺ قد علم من أوَّل يومٍ من بعثته أنَّه سيَخرُج من بلده مُهاجِرًا؛ ففي حديثه مع ورقة بن نَوفَل عندما اصطَحبَتْه زوجُه خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها إلى ابن عمِّها، عندها قال له ورقة: «هذا النامُوسُ الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتَنِي فيها جَذَعًا، ليتَنِي أكون حيًّا إذ يُخرِجك قومُك، فقال رسول الله ﷺ: «أومخرِجيَّ هم؟!»، قال: نعم، **لم يأت رجل قطُّ بمثل ما جئتَ به إلا عُودِي**، وإنْ يُدرِكْني يومُك أنصُرْكَ نصرًا مُؤزَّرًا، ثم لم ينشَبْ ورقةُ أنْ تُوفِّي»[1].

ولذلك، فإن الهجرة سنة من سنن الله في أنبيائه ورسله، فهذا نوح عليه السلام هاجر ومن آمن معه في سفينة حتى استوت على الجُودِيِّ.

وهذا إبراهيم الخليل عليه السلام كانت دعوته أصلًا بأرض العِراق، إلاَّ أنَّه كانت له هِجرات إلى الشام ومصر وأرض الحِجاز.

وهذا كَليمُ الرحمن موسى عليه السلام كانت له كذلك هِجرات قبل بعثته وبعدها، فقد هاجر قبل بعثته خائفًا يترقَّب، وهاجر بعد بعثته بعد أنْ كذَّبَه فرعون وقومه.

وهذا يعقوب عليه السلام هاجر من بابل إلى فلسطين، وهذا المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام هاجر من فلسطين إلى مصر.

وكل الأنبياء كانت لهم هجرات وفق سنة الله المطردة[2].

## ثانيا: الأسباب والمسببات.

إن الإيمان بالله تعالى والاعتماد والتوكل عليه لا ينافي أبدا الاستفادة من سنن الله التي جعلها الله في هذا الكون ناموسا ثابتا ومطردا، ولا يناقض اتخاذ الأسباب المادية التي أراد الله تعالى أن يجعلها أسبابا في هذا الكون التوكلَ عليه[3].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ ، ح3.

[2] ينظر: فقه السيرة النبوية: المفهوم والأسس والنماذج، رشيد كهوس، ص142-143.

[3] السنن الإلهية في السيرة النبوية، رشيد كهوس، ص232.

ولهذا أخذ النبي ﷺ بسنة الله في الأسباب ومسبباتها لما جاءه الأمر الإلهي بالهجرة إلى المدينة، فقام بتهييء الأسباب الكاملة لنجاح الهجرة وهو متوكل على الله تعالى في الأمر كله، متوسدا عتبة الافتقار إلى رب الأرباب..

ذلك بأن نصر الله لنبيه ﷺ في الهجرة النبوية لم يأت من فراغ، وإنما جاء نتيجة لجملة من الأسباب التي يسرها الله تعالى لحبيبه وصفوته من خلقه ﷺ لنجاح هجرته، حيث تيقن ﷺ استعداد الأنصار لقبول دعوة الإسلام ونشرها في المدينة حيث لم تبق دار من دور الأنصار إلا ودخلها نور الإسلام، تلاه بيعة العقبة الأولى وبعث مصعب بن عمير ﷺ سفيرا للإسلام بالمدينة، ليعلم الناس دينهم، وأمور شريعتهم، ويقرئهم القرآن الكريم ويهيء التربة الصالحة للدعوة، تلاه بيعة العقبة الثانية التي مهدت الطريق للهجرة بنشر الإسلام في المدينة، وتعهد الأنصار بحماية النبي ﷺ مما يحمون به أنفسهم في المنشط والمكره، وموافقتهم على أن تكون المدينة دار هجرته، ثم تلاه هجرة الصحابة ﷺ أرسالا وجماعات، وإشراك النساء في إنجاح الهجرة.

تلاه الإذن الإلهي للنبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة، فاختار ﷺ الصديق الحميم المحب الرفيق في الطريق وهو أبو بكر الصديق ﷺ واستبقاه إلى جانبه حين أذن لجميع المؤمنين بالهجرة، وأخبره في الوقت المناسب، وأمره بكتمان أمر الهجرة حيث لم يَعلم بها إلا آل أبي بكر، وعلي، وأمره بالمبيت في فراشه، واستعان على ذلك بالسر والحيطة والحذر، وخرج من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته في النهار ساعة القيلولة والهاجرة وفي الحر الشديد[1]، وأعد الصديق ﷺ راحلتين، واستأجر الدليل الخبير بالطريق (عبد الله بن أُرَيْقِط وكان مشركا)، وبحث عن مكانٍ يستقرّ فيه حتى تَخْمُد شدّة الطَّلَب عليه، فاختار غار ثَور ومكثا فيه ثلاثة أيام، وسار بِطَرِيقٍ معاكسٍ لِطَرِيق المدينة –سار مساحلاً، واختارَ رجلاً (عبد الله بن أبي بكر ﷺ) يكتشف حركة كفار قريش بمكة ويتقصى أخبارها وهو ما يسمى اليوم بجهاز الاستخبارات، وآخر يمحو بِغَنمه آثار أقدامه (عامر بن فُهَيْرة مولى أبي بكر)، ومن يأتيه بالزاد كلّ يوم (أسماء بنت أبي بكر –رضي الله عنهما–)، مع إخفاء شخصية النبي ﷺ في طريق الهجرة: فعن أنس ﷺ "أن أبا بكر كان رديف النبي ﷺ من مكة إلى

---

[1] انظر: سيرة ابن هشام، 354/2. البداية والنهاية لابن كثير، 184/2–185. تاريخ الطبري، 586/1. سيرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، سليمان الندوي، ص51. الفصول في سيرة الرسول ﷺ لابن كثير، ص33.

المدينة، وكان أبو بكر يختلف إلى الشام، فكان يعرف وكان النبي ﷺ لا يعرف فكانوا يقولون: يا أبابكر من هذا الغلام بين يديك قال: "هاد يهديني السبيل"[1].

واتخذ النبي ﷺ جميع الخطط الحكيمة والأسباب الموصلة إلى نجاح هجرته وبلوغ هدفه، ثمّ توكّل على الله تعالى بقبل ذلك وبعده حق التوكل.

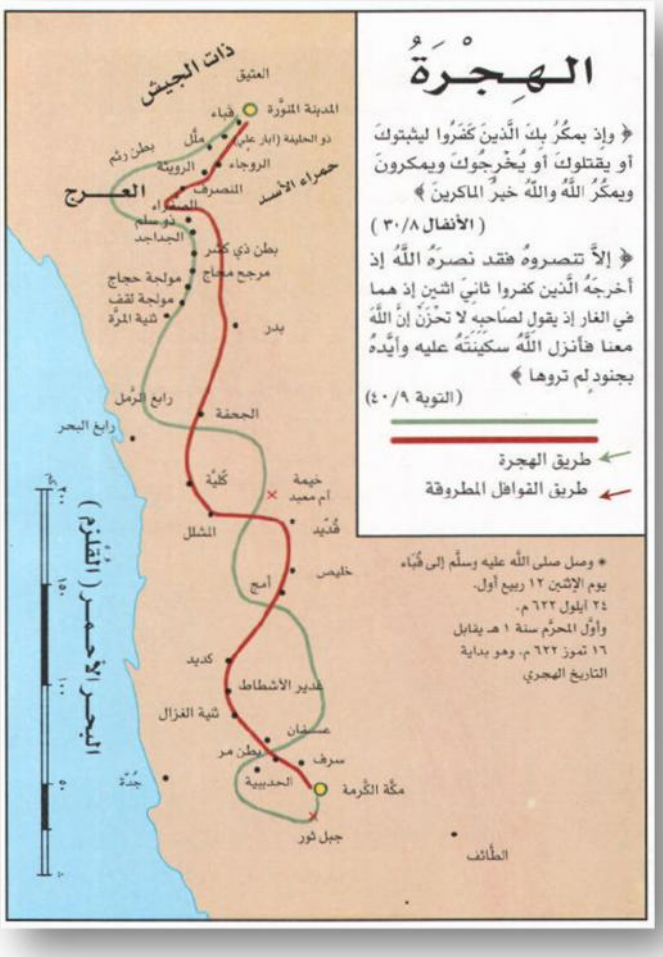


## ثالثا: سنة الله في المكر والماكرين.

اتعدت قريش في دار الندوة على اغتيال النبي ﷺ؛ وذلك بأن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا، يعطون كل واحد منهم سيفا صارما، ثم يعمدون إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فيتفرق دمه بين القبائل[2].

فأتى جبريل عليه السلام النبي ﷺ فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى النبي ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي وتسج ببردي هذا الأخضر، فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام.

..وخرج عليهم النبي ﷺ، فأخذ حفنة من تراب في يده... وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه، فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس: ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة، باب ما قالوا في مهاجر النبي ﷺ، 346/7.

[2] انظر: سيرة ابن هشام، 350/2-352. البداية والنهاية، 182/2-183.

لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ إلى قوله ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾(يس:1-9)، حتى فرغ ﷺ من هؤلاء الآيات... فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمدا؛ قال: خيبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا، وانطلق لحاجته..[1].

وفي هذا يقول الحق تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(المائدة:67)، ويقول جل ذكره: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾(الطور:30-31).

إنها سنة الله في المكر والماكرين، وسنته في نصر عباده المرسلين.

## رابعا- سنة التأييد الإلهي.

يقول الله تعالى وتقدس:﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(التوبة:40).

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصديق ﷺ قَالَ: "كُنْتُ مَعَ النبي ﷺ فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصَرَهُ رَآنَا. قَالَ: «اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ، اثْنَانِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»"[2].

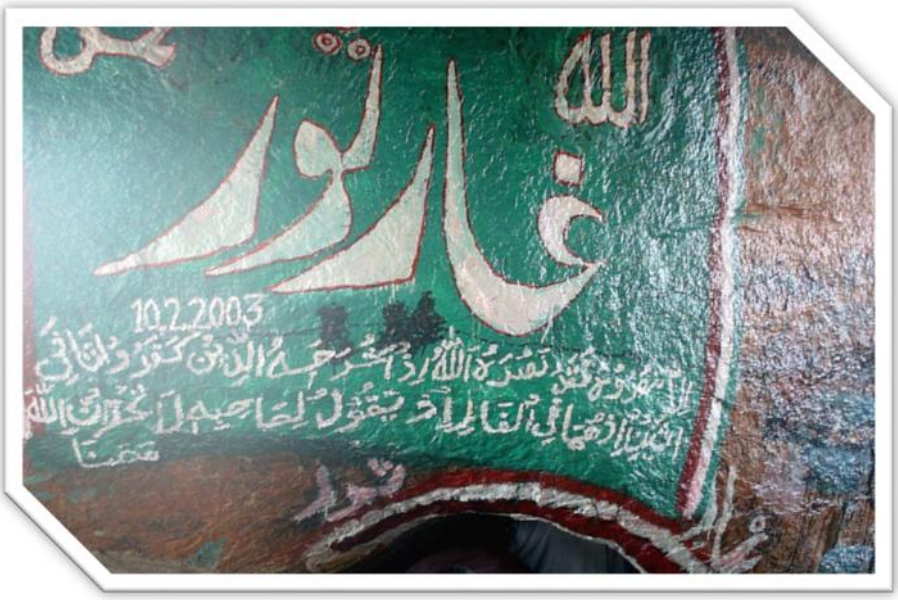


كما أن في قصة سراقة الذي عثرت به فرسه في كل مرة يحاول اللحاق برسول الله ﷺ والقبض عليه[3] أعظم دليل على تحقق وعد الله بعصمة نبيه من الناس، وعلى التأييد الإلهي والنصر

---

[1] سيرة ابن هشام، 352/2-354. البداية والنهاية، 183/2.

[2] صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ح3922.

[3] انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، ح3906. سيرة ابن هشام، 357/2-358. البداية والنهاية، 191/2-192.

الرباني لنبيه ﷺ.

لقد كان سراقة في بداية أمره يريد القبض على النبي ﷺ، ويسلمه لزعماء مكة لينال مائة ناقة، وإذا بالأمور تنقلب رأسًا على عقب –لما رأى المعجزة أمام عينية–، ويصبح يرد الطلب عن رسول الله ﷺ فجعل لا يلقى أحدًا من الطلب إلا رده قائلا: كفيتم هذا الوجه[1].

وصدق الله حيث قال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: 21).

**خامسا– سنة التغيير الاجتماعي.**

إن الهجرة النبوية غيرت مجرى التاريخ تغييراً لم يشهد له التاريخ مثيلًا؛ حيث أعقبها بناء إنسان صالح، ومجتمع مسلم أخوي، ودولة إسلامية قوية، وعمران إسلامي أصيل، عاش الناس في ظلاله كالجسد الواحد إخوة متوادين متراحمين، ومتعاونين متكافلين.

**مسك الختام:**

إن الأمة المسلمة في أمس الحاجة إلى استحضار معاني الهجرة النبوية، والوقوف عند سنن الله فيها؛ لتكون نبراسًا يبصرها بواقعها، ويُضيء لها مستقبلها الحضاري، ويعيدها إلى الطريق المستقيم.

وإن الأمة لقادرة بإذن الله تعالى –إذا عادت إلى مصدر عزها– أن تكون رحمة في العالمين وبلسما وشفاء للناس أجمعين.

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(آل عمران:160).

---

[1] انظر: السيرة النبوية، علي محمد الصلابي، ص275.

## ثبت المصادر والمراجع


**1- القرآن الكريم كتاب رب العالمين.**

**2- البداية والنهاية،** عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (701-774هـ)، راجعه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد محمد تامر وشريف محمد ومحمد عبد العظيم ومحمد سعيد محمد، دار البيان العربي، القاهرة،ط/ د،ت.

**3- تاريخ الطبري الموسوم ب:تاريخ الأمم والملوك،** أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310هـ)، تحقيق: مصطفى السيد وطارق سالم، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط/د،ت.

**4- السنن الإلهية في السيرة النبوية،** رشيد كهوس، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1: 2010م.

**5- السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام،** أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام المعافري(المتوفى: 213هـ)، تحقيق: جمال ثابت ومحمد محمود وسيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط/1424هـ2004م.

**6- السيرة النبوية** لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبين شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2: 1375هـ/1955م.

**7- السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث (دروس وعبر)،** علي محمد الصلابي، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط1426/3هـ-2005م.

**8- سيرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها،** سليمان الندوي، عربه وحققه وخرج أحاديثه: محمد رحمة الله حافظ الندوي، دار القلم، دمشق، ط1424/1هـ-2003م.

**9- صحيح البخاري الموسوم: بالجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسُننه وأيامه،** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بَردزبَة البخاري الجُعفيّ (ت256هـ)، ضبط النص: محمود محمد نصّار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1425/4هـ-2004.

**10- علم السنن الإلهية من الوعي النظري إلى التأسيس العملي،** رشيد كهوس، منشورات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1: 1436هـ/2015م.

**11- الفصول في سيرة الرسول ﷺ،** الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، الشركة الجزائرية، اللبنانية، الجزائر العاصمة، ط1427/1هـ-2006م.

**12- فقه السيرة النبوية: المفهوم والأسس والنماذج،** رشيد كهوس، ط1: 1438هـ/ دار الكلمة – مصر.

**13- المصنف في الأحاديث والآثار،** أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط1409/1هـ.